ذيل

يخطر لي الحق الصراح الى ان اعان على رؤوس الملا ان سيادة المغرب المفضال نشر المجلد الاول من ترجمته سنة ١٨٨٧ قبل ان يقف على الترجمة الجيبية السابق وصفها بنحو سنتين على ما يشاهد بكل جلاء في وصل استعارته هذه الترجمة المصون في خزانة مكتبة حلب المارونيّة فاقتضى التنبيه دفعاً لظنون من يزعمون بان سيادته طالعها او استعان بها من قبل وان يكن من المعروف المقرر انهُ حفظهُ الله ليس هو ممّن يحومون على مثل هذا الورد

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

﴿ أدباء المغرب ﴾ انّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أدباء تلك الجهات

(سليمان الحرازي) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرازي الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمّ تفرّغ لدرس اللغة الفرنسويّة والعلوم الرياضية والطبيعيّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمّ اتخذه باي تونس كاتب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسماً من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمّ طبعهما على حدة. وممّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها « بالقول الحقّ في تحريم البنّ المحرق ». وعرّب الاصول النحويّة للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond). وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيّات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في

باريس. ولا نعرف تاريخ وفاة الحرازي ولعلَّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الَّا انَّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمَّد التونسيّ) هو محمَّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرَّج على شيوخ الازهر في مصر ثمَّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ : كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. وقد طبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمَّة المستشرق الفرنسوي بارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيَّلها بالحواشي . ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها . توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبَّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبَّادو الشريف . كان باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً . وكانت له ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً ممَّا سمعهُ قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها . وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برَّز في الشعر وكان يتولهُ بديباً . ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ — ١٢٩٦) . توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨). وكان بينهُ وبين انكتب رشيد الدحداح صداقة ومراسلات . وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالَّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها:

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ... وطمح همَّتي فخراً وكبرا
وجُود يدي واقدامي وبأسي ... ولا اعيي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي ... وتصلبُ ان يرُم ذو الغدر هصرا
واني لا أعدُّ الوفرَ ذُخراً ... ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرا
وما كلُّ الخلال تُذاع بأوْ ... ولا كلُّ المذاع يصحُّ سِرّا
وفي التجريب ما ينفي ارتياباً ... ويصدقُ سنُّ بكرٍ منهُ فرّا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوَّلهُ :

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهالت عندك الأخبارُ خُبرا
ولو اشرفتِ في جنحِ عليهِ (وقد لاقى المزنّبرُ اخاكِ بشرا)
(اذاً لرأيتِ ليثاً رام ليثاً) وكلٌّ منهما باغٍ مغرى

يرى كلّ على ثنة اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(نهض اذ تقاعس عنهُ مهري) واقبل نحوهُ أذنيهِ ذعرا
فكاد يريهُ فيخال مني (عاذرةً فقلتُ عُقرتَ مهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمّنها عددًا وافرًا من التواريخ تفنّن فيها على طرائق عجيبة. ومن مديحهِ قولهُ في رشيد:

فيا خبرًا لاحت ببرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طبق وَسْمك مرشدًا يجيئًا من كل الامور لك الرشدُ

أدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل الخلّاع) هو جبرائيل بن يوسف الخلّاع ولد في دمشق في اواخر القرن الثامن عشر وتفقّه في العلوم العربيّة والتركيّة والفارسيّة ثمّ سافر الى مصر وبقي فيها مدّة يتعلّل في دواوين الانشاء في الاسكندريّة ثمّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١. ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمّى الجلستان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي. عرّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر السجع المنسجم ثمّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق. وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤):

(حكاية) نظرتُ اعرابيًّا في سلقة الجزيرة بالبصرة، وهو يقول: اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الحجاز، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا الجاز، فايقنت بالهلاك، وسمحتُ لهُ بالموت اذ ذاك، فبينما انا في البيداء انلظى الضرّ، واذا بي وجدتُ كيسًا مملوءًا بالدرّ، فلا انسى ما علاني من الفرح والسرة، اذ توهّمت ان اجد قمحًا مثليًا في تلك الصرّة، فلمّا تحققتُ فيهِ وعاينتُ الدرّ واللآلي، ذممتُ من الذمّ الذي لا يبرح من الفكر بحلول الياس

في يابس اليدين ار حرّ الرمال فما لظامئ القلب يُغني المآبس والصَّدَفُ
العادم الزاد اذ حوى بيد قدمٍ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والحزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدّة الظما، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وحمى:

يا ليت قبل منيّتي بوماً افوزُ بشربتي
نهرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قربتي

(حكاية) كذلك ضلّ في تاع البسيطة بعض السفّار، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوّة اقتدار،

ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادَّخره في وسطه ولم ينفقهُ في الضيق ، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ، فهلك بالمشقة ، وسد الشقة ، فمرَّ عليهِ طائفة من الناس ، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضارِ الجعفريِّ لمن خلا ... عن انزادِ لا يقتيهِ شيئًا من الضرِّ
ومن يحترقْ في القفر فقرًا فانهُ ... لهُ اللحمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ... ام لاح لي روضُ ازهارٍ وانوارِ
كلَّا بل الألبيُّ اللوذعيُّ بدا ... منه بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جاستنَ البديعةُ في ... ما صاغَ من عربيِّ اللفظِ للداري
لا غرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بها ... مقروءةً حيثُ يُتلى يعجب القاري
معرَّب عبَّرت عنهُ براعتهُ ... مبارةً اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ درٌّ في سطورٍ نُظمت ... نظمًا بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجًا ... أرَّختُ ازهى جميعٌ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن تخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويَّة والايطالية. وجعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها . ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنِّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد . وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا الحامي الشهير قسمًا من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمتغل والحسود حذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيَّة. وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات ويا ليتها كسدت مع كثرة مضارها وقلَّة من يراعون فيها الآداب الصالحة . ثمَّ سافر مارون النقَّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ :

بدرٌ هوى لا بل ذوى غصنٌ وذا مرقدهُ
نقَّاشُ علمٍ سيِّد العلم ارتضى يمده
يا رحمة المولى على مارونا تمضدهُ
ويصبُّ عاطل غيثها أرِّخ وتغمدهُ

ثم نقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل ... طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عوداً كبدرٍ تولاهُ الخسوف لـذا ... ما قد أرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقاً للشيخ ناصيف اليازجي يتبادلان على الرسائل الودية الادبية منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اولها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل ... هيهات لا يهدي وقوفك قافلِ

قال فيها :

يا ايها النحريرُ جهبذُ عصرهِ ... مالي ابثُّك علمَ ما لم تجهلِ
انَّ المقدّم الحكيمَ افادة ... كتقدّم للشمس ضوءُ المشعلِ
بَعُدَ المزارُ على مشوقٍ لم يكن ... يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقوله :

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لنيّةٍ ... فابعث اليَّ بهنيّ المتماثلِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردتْ اليَّ من المقام الافضل ... غرّى الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سمح الزمان بنعمةٍ ... ابقاك نوراً في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم ... بدلٌ سواك فانت بالمُستبدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همّةً ... حتى عجزتُ حقَّ العُذرِ لي
انَّ الضعيف مقيّداً بلسانهِ ... مثل الاسير مقيّداً بالارجلِ

فلمّا نُعي الى الشيخ صديقهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة :

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ ... من القلوبِ وعاش الحُزن والضَّرَمُ
قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ ... فحبّذا اليوم ذاك البعد والقدمُ

ومنها :

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً ... وايُّ عيبٍ تراه فيك يُتّهمُ
فيك التُّقى والنقا والسلم مجتمعٌ ... والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقّاش بردتهِ ... والشعرُ يرثيك حتى تنفد الكلمُ

تبكي عليك القوافي والمحابر والـ أقلام والصحفُ والآراء والهممُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلُّ ديوانِ قومٍ فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالبر في طاعة الرحمان تختتمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّها ترداد سوءاً كلما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبيجتها الدراري حُسَّدا
كتمتْ ذخرناه لنا فاغالهُ لصُّ المنيَّة خاطفاً متمرِّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت باتساريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اولُّها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أمسا تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش مسا خلا رواياتهِ قصائد متفرقة . وفقرات ورسائل جمع اخوهُ قسمًا منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اولُّها:

لسعد سعود من سلفوا حدودُ وسعد سعيدٍ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفًا بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفَّيهِ جودُ
فهذا حكمهُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد يلفت مناقبهُ كمالًا وبها ازداد مدحًا لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الخاوري معلمهِ:

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي اخي الروحي ولولا لائمي قلتُ من يشبهُ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ قلت من فيضاتهِ وانا تلميذ ذيَّاك الطلمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكلّيُّ الحكمْ
قد كساني ثوب تعلم بما منح الله عليهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشا ولم انسَ ايامًا تقضَّت في نعمْ

وللمرحوم عدَّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢ :

اني هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبل أن أتمَّ فكذا ربيَّ امرْ
لكن لسعدي لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في السما كالقمرْ
وكما روى النقاش نقش تأرُّخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قولهُ مؤرخًا لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسي انطاكية عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدَّتهِ
ان غاب ذاك واضاءنا بنيتهِ فناب هذا واشفانا بتوبتهِ
دعا الاله لذاك المرتضي خلفًا ارَّخت بولس مختارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣. كان رجلًا هماماً محبًّا للاداب منذ نعومة اظفاره فلما قدم لبنان الدكتور الفرنسوي كاوط بك رئيس اطبَّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمَّد علي باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقَّى فيها الدروس الطبيَّة ونال الشهادة المؤذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمَّ سافر الى الاستانة العليَّة ودرس على اساتذتها المتطببين وبقي مدَّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيَّنتهُ الدولة العليَّة كطبيب اوَّل للعساكر الشاهانيَّة في مارستان بيروت العسكري . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديَّة الاحباب وهداية الطلَّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيَّة ثمَّ عادَ الى بيروت ومعهُ ادوات طبيعيَّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر

واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري قرّظه مفتي زاده السيد محمّد مفتي بيروت بقولهِ:

جزا الله المؤلف كلّ خيرٍ لهذا العقد في جيد الحسانِ
اصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ بافق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقًا (المشرق ٤: ٤٧٣). وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد:

ملكٌ اضاء على الانام بسيرةٍ احيا الزمان بها فاتّ الحُسّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تُجحدُ
دانت لباب جلالهِ أُمم الورى فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السعادُ لعزمهِ وبعزمهِ هزم العدى بالسيف حيث يُجرَّدُ
فاذا الخطوبُ تجسّمت فانالوا لها عبد المجيد فانها تتبدّدُ
واذا تصوّر في الدجنّة ذاتهُ لاح الصباح ونوره يتوقّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ:

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتّسعا كانّما طال عليهِ الوردُ فانقطعا

ومنها:

قد كان في طبهِ للناس منفعةٌ فاذ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل يبري جراح فؤادٍ بعدّه انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً جسمًا يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عادَ منقلبًا فانظرْ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها من القرن السادس عشر. درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدّة ثمّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأقيم بعد ذلك قاضيًا على النصارى في لبنان. وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخيّة. وكان كلفًا بتاريخ لبنان فصنّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيّة لبنان ثم في انساب اعيانهِ ثمّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدّمة. وهو ادقّ واضبط ما

وضع الى يومنا لاسيما في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعده في تهذيبه وتنقيحه وقفات طبعه المعلم بطرس البستاني . وكان نجازه سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات . وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجرده عن الاغراض كما قال :

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ وبين بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديدًا مفيدًا ما لهُ في النقع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس . ومما يُذكر من آثاره ايضًا انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم الوراء) هو ابن المعلم حنا الوراء الرومي الملكي الكاثوليكي ولد في عكّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمّد باشا الجزّار ثمّ في ديوان خلفه سليمان باشا . فجرع حنا في الكتابة وضُمّ الى كتاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخاله ابراهيم نحّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) . وكان مغرمًا بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايّام الجزّار ولاسيما في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذّبهُ حتى انتهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيره روى اكثرها عن ادباء عصره وعن معرفتهِ الخاصة ممّا عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ . توفي ابراهيم الوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبره :

لا تجزعوا يا بني الوراء واصطبروا لفقد ذخرٍ لكم بالاس قد فُقِدا
من فوقهِ احرف التاريخ ناطقةٌ في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدّة بين نصارى الشرق بآدابه ومعارفهِ اللغويّة . وقد مرّ لهُ في المشرق (٨ : ٧٧٣ : ٨٤٧ الخ) ترجمة مطوّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام . هو ناصيف بن الياس بن حنا

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (ZDMG. IX : 269).

المعلوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابي يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوه الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء المازاريين واتقن اللغات التركية واليونانيَّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطلب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برزَ خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبُّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريَّة. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جمعت في كرَّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِفْ عند تُربَةِ يوسف الجلخ الذي ما زال يطلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزاً أرِّخ برحمةِ ربِّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢—١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرِّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرَّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ:

مضى الشيخ مرعي راحلاً عن ديارنا ولكن حيًّا في السماء لهُ قصر
واولى بني الدحداح حزناً مخلَّدًا يدومُ كما يبقى لهُ هندم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثات بنفسهِ فتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرِّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ (لما يئنه)